

التراث والتجديد عند حسن حنفي

مخاطر ديدوش محمد. طالب دكتوراه فلسفة سنة 3

المشرف: أ.د. سعدي بن أزواو

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - قسم الفلسفة - جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

مقدمة:

في بداية ستينيات القرن الماضي ظهر في الوطن العربي مجموعة من المفكرين والباحثين الأكاديميين أو ما يعرف بأصحاب المشاريع الفكرية العربية، الذين أعادوا التطرق لإشكالية التراث العربي الإسلامي وإحياءها في الفكر العربي المعاصر، وذلك بسبب الحضور القوي والدائم للتراث في الوعي والواقع العربي المعاصر. تم في هذه الفترة إصدار مجموعة كبيرة من المؤلفات توضح ذلك الرجوع الكبير للتراث نذكر منها: غالي شكري "التراث والثورة"، طيب تيزيني "من التراث إلى الثورة"، محمد عابد الجابري "نحن والتراث"، جورج طرايشي "مذبحة التراث في الثقافة العربية"، "المتحفون العرب والتراث"، حسين مروة "النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية"، محمد عمارة "نظرة جديدة إلى التراث"، حسن حنفي "التراث والتجديد".

لقد قام هؤلاء المفكرين بعملية عقلنة التراث والبحث عن العناصر التقدمية فيه وتوظيفها سياسيا وإيديولوجيا وثقافيا في عملية قيام النهضة المنشودة، التي تتحقق حسبهم من خلال تحرير العقل المسلم من أساطير الماضي وأوهامه لتمهيد الطريق نحو قيام حداثة عصرية عربية على الطريقة الغربية.

لا يسعنا الأمر هنا أن نتطرق لجميع هذه المشاريع والقراءات، إلا أننا سنركز في مقالنا هذا على القراءة المتميزة للتراث التي قام بها المفكر المصري حسن حنفي في مشروعه التراث والتجديد الذي حاول من خلاله القيام بإعادة صياغة للموروث الحضاري للأمة الإسلامية بصيغة عصرية تتواءم الواقع المعيش. محاولين من خلالها القيام بعرض مجمل لما ورد في هذا المشروع، ومبرزين معالم الجدة والإبداع فيه. وهذا ما يدفعنا إلى طرح التساؤلات التالية: ما مفهوم التراث والتجديد عند حنفي؟ ما الجديد الذي أتى به حنفي في إعادة بنائه للعلوم الدينية؟ كيف يمكننا مواجهة الاستشراق بعلم الاستغراب حسب حنفي؟ وهل وفق في ذلك؟.

حسن حنفي مفكر مصري ولد سنة 1935، (مازال حيا إلى يومنا هذا)، له مشروع فكري ضخم بعنوان "التراث والتجديد" يأمل من خلاله إخراج الأمة العربية الإسلامية من التخلف والانحطاط والركي بما في درجات التقدم والازدهار. قام في مشروعه بإعادة قراءة التراث

العربي الإسلامي قراءة شاملة حاول فيها إعادة بناء العلوم الدينية العقلية والعقلية باستخراج ما يصلح فيها من حلول وتوظيفها في تحسين الواقع وتحقيق النهضة. هذه الأخيرة يرى حنفي أن سبب فشل تحقيقها المتكرر يرجع إلى تخلف المنطلقات النظرية مقارنة بتحديات الواقع الكبرى، وهو ما حاول تجاوزه في مشروعه هذا.

يقوم مشروع التراث والتجديد على معالجة ثلاث جهات رئيسية تتمثل في: العلاقة بالتراث (الموقف من التراث القديم) والعلاقة بالغرب (الموقف من التراث الغربي) والعلاقة بالواقع (نظرية التفسير). هذه الجبهات الثلاث متداخلة فيما بينها وكل جبهة متممة للأخرى، « لإعادة بناء التراث القديم بحيث يكون قادرا على الدخول في تحديات العصر الرئيسية يساعد على وقف التغريب الذي وقعت فيه الخاصة ... وأخذ موقف من الغرب يساعد المتغربين على اخذ موقف نقدي من التراث بدلا من الهروب إليه وعلى إعادة اكتشاف التراث القديم بدلا من الهروب منه. ولما كانت التحديات العصرية هي الواقع المباشر الذي يعاد فيه بناء التراثيين القديم والغربي معا فإن أخذ موقف نقدي منهما يساعد على إبراز الواقع ذاته وفرض متطلباته على قراءة التراثين معا.¹»

قبل التعرف على مضامين هذه الجبهات الثلاثة ينبغي لنا أولا التطرق إلى ما يقصده حنفي بمفهوم التراث والتجديد.

يعرف حسن حنفي التراث بقوله: «هو كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة، فهو إذن قضية موروث وفي نفس الوقت قضية معطى حاضر على عديد المستويات.»² فالتراث ليس كامن في الماضي فحسب، بل يمتد للحاضر ويؤثر فيه ويساهم في بناء المستقبل.

كما يعرفه أيضاً بأنه: «مجموعة التفسير التي يعطيها كل جيل بناء على متطلباته خاصة وأن الأصول التي صدر عنها التراث تسمح بهذا التعدد لأن الواقع هو أساسها الذي تكونت عليه. ليس التراث مجموعة من العقائد النظرية الثابتة والحقائق الدائمة التي لا تتغير بل هو مجموع تحقيقات هذه النظريات، في ظرف معين، وفي موقف تاريخي معين، وعند جماعة خاصة تضع رؤيتها وتكون تصوراتها للعالم.»³ فمادام التراث تعبير وانعكاس لواقع معين يتسم بالحركة والتغير، فبالضرورة يكون التراث غير ثابت ومتغير طبقاً لواقع كل عصر وكل جيل.

يتشكل التراث عند حنفي على عدة مستويات: مستوى مادي وهو «تراث موجود في المكتبات والمخازن والمساحد والدور الخاصة يعمل على نشره. فهو تراث مكتوب، مخطوط أو مطبوع، له وجود مادي على مستوى أولي.»⁴ فهو يقصد الكتب والمؤلفات والمطبوعات التي يخلفها السابق للجيل الذي بعده، بحيث يعاد إحيائها وتحقيقها ونشرها. كما يتشكل أيضاً على مستوى معنوي باعتباره مخزون نفسي عند الجماهير،⁵ موجه لسلوكاتهم وتصرفاتهم في الحياة، لذا يجب العمل على تحرير هذا المخزون وتوجيه قيمه نحو قيام ثورة تغير الواقع وتساهم في تحسينه.

انطلاقاً من هاذين المستويين للتراث فإن الماضي والحاضر متصلان على مستوى شعور الأفراد، وبالتالي لا يمكن فهم الحاضر إلا من خلال الماضي. لأن الماضي موجود ومتجسد على مستوى شخصية الأفراد والجماعات في الحاضر، وكل تجرد وانسلاخ عنه هو بمثابة تجرد عن الهوية والأصول.

يتميز حنفي ثلاث مواقف من التراث تتنازع فيما بينها:

أولاً: الاكتفاء الذاتي للتراث: ينظر إلى التراث باعتباره حوى على كل الحلول والإجابات للمشاكل التي حدثت في الماضي والتي ستأتي فيما بعد، بحيث يجب الرجوع إليه والبحث فيه عن حلول لكل المشاكل التي تصادفنا في الحياة. يغلب على هذه الرؤية حسب حنفي العاطفة والاعتزاز بالتراث مما نتج عنه النفاق والعجز والترجسية.

ثانياً: الاكتفاء الذاتي للجديد: يعتبر التراث من مظاهر التخلف، وبأنه لا قيمة له لا كغاية ولا كوسيلة. يحاول هذا الموقف إحداث تغيير جذري في البناء الاجتماعي ببناء نظام جديد محل القدم، لكنه وقع في خطأ جسيم تمثل في عدم الهدم الكلي للبناء القديم، وتسرع في البناء مما جعل بناء قائم على أساس غير متين. كما أعاب عليه حنفي قصور نظريته العلمية، ووقوعه في فخ التقليد، والازدواجية.

ثالثاً: التوفيق بين التراث والتجديد: يحاول هذا الموقف الأخذ من التراث ما يصلح كحلول لمشاكل عصرنا، ومن الجديد ما لا يتنافى مع القدم. هو موقف وسط يقوم على تحديد دقيق للعلاقة التي تربط بين التراث والتجديد، فكان أن ظهر طريقتين في سبيل ذلك: التجديد من الخارج، والتجديد من الداخل.⁶

إن حنفي في تحليله لهذه المواقف يرفض بشكل قطعي كلا من الموقفين الأولان، باعتبارهما قطعيتين ومتعصبين للتراث سواء المحلي أو الغربي. أما الموقف الثالث فهو ينتصر له ويجذبه، لأنه يأخذ من محاسن كلا الموقفين ويبنى عليهما.

أما بخصوص مصطلح التجديد **Innovation** فإننا نجده في معاجم وقواميس اللغة مشتق من مادة جدد. بحيث ورد في معجم لسان العرب بمعنى جَدَّ الثوبُ والشَّيْءُ يَجْدُّ، بالكسر، صار جديداً، وهو نقيض الخلق. وأَجَدَّ ثوباً واستَجَدَّه: لَبِسَهُ جديداً. والجَدُّ مصدر الجَدِيدِ، وتجدد الشيء: صار جديداً. وأجده وجدده واستجدده أي صيره جديداً.⁷ والجديد هو خلاف القدم، إذ يقال جدد فلان الأمر وأجده واستجدده إذا أحدثه.

كما يعني التجديد أيضاً «وجود شيء كان على حالة ما، ثم طرأ عليه ما غيره وأبلاه، فإذا أعيد إلى مثل حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يصيبه البلى والتغير كان ذلك تجديداً»⁸ فالتجديد إحياء وبعث وإعادة.

إن الأصل اللغوي لكلمة التجديد يبعث في الذهن ثلاث معاني مترابطة:⁹

الأول: أن الشيء قد كان في أول الأمر موجوداً وقائماً وللناس عهد به.

الثاني: هذا الشيء أنت عليه الأيام فأصابه البلى وصار قديماً.

الثالث: أن ذلك الشيء قد أعيد إلى مثل الحالة التي كان عليها من قبل أن يبلَى.

أما في الاصطلاح، فإننا نجد عدة تعريفات متنوعة للتجديد نذكر منها:

يعرفه العظيم آبادي بالقول: «التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة، والأمر بمقتضاهما، وإماتة ما ظهر من البدع والمحدثات». ¹⁰

يعرفه محمد عمارة بقوله: «التجديد هو البعث والإحياء لثواب الدين وأصوله، مع التطور في فقه الفروع، مواكبة لمستجدات الواقع المعيش، وحفاظاً _ في ذات الوقت _ على صلاح وصلاحية الثواب والأصول الدينية لكل زمان ومكان». ¹¹

تتفق هذه التعريفات في أن التجديد يختص بما هو قديم، والمقصود هنا بالإسلام، وهذا من خلال إعادة إحياء وبعث ما بلي منه، لا التخلص منه ومحاولة هدمه.

أما التجديد عند حنفي فهو «إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر». ¹² ومادام كذلك فهذا يعني أن هناك أسبقية للتراث على التجديد، فالتراث هو " نقطة البداية كمسؤولية ثقافية وقومية". ¹³ ثم يأتي التجديد كغاية له، بحيث يتم عن طريق « تحليل الموروث القديم وظروف نشأته ومعرفة مساره في الشعور الحضاري. ثم تحليل الأبنية النفسية للجماهير وإلى أي حد هي ناتجة عن الموروث القديم أو من الأوضاع الاجتماعية. وأخيراً تحليل أبنية الواقع وإلى أي حد هي ناشئة من الواقع ذاته ودرجة تطوره أم أنها ناشئة من الأبنية النفسية للجماهير». ¹⁴ والقيام بهذه العملية يتطلب تضافر جهود باحثين مختصين بالتراث، لأن التراث واسع ومتعدد الجوانب.

إن التجديد الذي يدعو إليه حسن حنفي ويقصده هو "التجديد بمعناه في الفلسفة الغربية، الذي كان ثمرة الصراع الدائر بين الكنيسة والعلم والعقل والمعرفة، ونتيجة لهذا الصراع تجاوز الفلاسفة الدين بكل ما فيه تحت مسمى التجديد، فأصبح معنى التجديد عندهم هو مجاوزة الماضي بكل ما فيه أو حتى الواقع الراهن ونبت كل ما لا يتوافق مع العقل". ¹⁵

ذكرنا من قبل في تطرقنا لمشروع " التراث والتجديد " أنه يتألف من ثلاث جهات تتمثل في: العلاقة بالتراث القديم والعلاقة بالتراث الغربي والعلاقة بالواقع. الموقفين الأول والثاني موقفان حضاريان لأنه يتطرق فيهما إلى ثقافات مدونة، ويغلب عليهما منهج النقل سواء من الإسلام أو التوراة والإنجيل، ومن المفكرين القدماء أو المحدثين. في حين أن الموقف الثالث فهو يتعامل مع مادة المعرفة دون إدراك مسبق أو تنظير جاهز. ¹⁶ هذه المواقف الثلاثة تعبر عن الموقف الحضاري الذي تعيشه الأمة العربية والإسلامية والذي يحدد مكانتها اتجاه الحضارات والثقافات الأخرى.

أولاً: الموقف من التراث القديم:

يحاول فيه حنفي القيام بعملية إعادة بناء للعلوم التقليدية العقلية (علم الكلام، علم أصول الفقه، علوم التصوف، علم التفسير، علم الحديث، السيرة النبوية، العلوم الرياضية والإنسانية) حتى يعاد ربطها بالواقع والتاريخ، لكي تواكب تحديات العصر. معتمداً في ذلك منهجاً يقوم على الاستيعاب الإيجابي للتراث بحيث " لا ينظر إليه كنص مفصول عن الواقع، ولا يتبنى المقاربات البنيوية أو الاستيمولوجية الساعية لإبراز تاريخيته والوقوف عند سياقاته الدلالية وخصوصياته المفاهيمية". ¹⁷

يرى حنفي أن التراث القديم يكشف عن صراع قوى متنافسة فيما بينها، ولما كان الصراع ينتهي بفوز قوة معينة فقد تم سيادة تراث القوة الغالبة دون تراث القوة المغلوبة وتم تدوينه وفقاً لإيديولوجيتها التي تتبناها، وذلك هو التراث الذي وصل إلينا. ¹⁸ فمثلاً في علم الكلام يرى أن عقيدة الأشعرية هي التي انتصرت وأصبحت تملك زمام السلطة، وبالتالي تراثها هو السائد في مقابل اندثار عقائد الفرق المهزومة. يعطي مثلاً على ذلك بالقول: «فإن الله الواحد الذي ليس كمثله شيء والذي لا يُرى ويرى كل شيء ليس هو بالضرورة التصور الوحيد لله كما نعلم من تاريخ العقائد، هنالك الله الحسي المجسم، محل الحوادث، عند الكرامة والمشبهة على اختلاف فرقهم. وليس بالضرورة أن يكون التصور الأول صحيحاً والثاني باطلاً». ¹⁹ من كلامه هذا نقف على حقيقة أن حنفي يحمل بطريقة غير مباشرة عقائد فرقة الأشعرية باعتبارها عقائد السلطة بعضاً من مسؤولية الانحطاط الذي أصاب الأمة الإسلامية، فهي حسب مغبية لعقل وإرادة وحرية الإنسان في التفكير والفعل، ويحاول إحياء عقائد الفرق الأخرى كالمعتزلة والخوارج والتمكين لها في حياتنا المعاصرة. إذ يقول: «ربما يكون الأصلح الآن هو حرية الاختيار وخلق الأفعال عند المعتزلة وليس الكسب الأشعري، وأثبت استقلال العقل والإرادة وليس تبعيتهما أو قصورهما. ربما يكون اختيار الخوارج في أن العمل جزء لا يتجزأ من الإيمان وليس اختيار المرجئة أو الشيعة ... ربما يكون اختيار المعتزلة والخوارج رفض القرشية أصلح لنا من اختيار

الأشاعرة حتى لا تحتكر السلطة فئة معينة.²⁰ فهو بهذا يدعو الجيل الحالي إلى إعادة الاختيار بين البدائل وعدم احتكار سلطة القرار والسماح باختلاف وجهات النظر، مع الاتفاق على تحقيق ولو الحد الأدنى من المنفعة العامة.

بهذا الموقف من التراث القديم يمكننا تحقيق ما يلي:

أولاً: وقف التغريب الذي حدث للغة التي ابتعدت عن التراث بعد أن وجدته لا يلي طموحاتها. فإعادة بناء هذه العلوم يمكننا الحد من سلطة الفكر الغربي على الفكر العربي.

ثانياً: نزع سلاح التراث من أيدي الخصوم عن طريق إبراز ونشر تراث الفرق الأخرى في مقابل تراث السلطة الحاكمة، فتعدد الاختيارات وتكثر البدائل والحلول.

ثالثاً: إعادة بناء الثقافة الوطنية أي ثقافة الأمة خاصة وعامة بروح العصر ولغته.²¹

ثانياً: الموقف من التراث الغربي:

في تحليله للتراث الغربي يعقد حنفي مقارنة بين ما حدث لتراثنا الإسلامي في بداية نشأته من مواجهة مع الوافد اليوناني آنذاك، وبين ما يحدث لنا في محاولتنا للنهوض والتقدم من جديد مع الوافد الغربي من الحضارة الأوروبية الحديثة. لذا يتطلب منا الأمر تحديد موقف واضح من التراث الغربي إذا أردنا العودة إلى الساحة العالمية كحضارة قيادية. كما يرى من جهة أخرى أن «العقلانية الحديثة قد انحارت وتحولت إلى اللاعقلانية، كما تحولت من الطابع النقدي إلى العدمية، ومن الكونية إلى العنصرية، ومن الروحانية إلى المادية الحسية الصرفة... وبذا

تنتفح آفاق جديدة للحضارة الإسلامية والحضارات الجنوبية القادرة على تجديد وعيها، وأخذ المشعل من الحضارة الغربية المتأكلة.»²²

يوضح حنفي أن هدفه من تناول التراث الغربي بالدراسة والتحليل هو تحجيم الغرب من خلال بيان قصور وحدود حضارته التي تزعم الكونية والعالمية. ومن أجل تحقيق غرضه أنشأ حنفي علماً جديداً أطلق عليه اسم "علم الاستغراب" وهو كرد على علم الإستشراق الذي أسسه الغرب. إذ يقول: «الاستغراب هو الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) يهدف علم الاستغراب إذن إلى فك العقدة التاريخية المزوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر.»²³

يدرس حنفي مراحل تطور الوعي الأوروبي في خمس مراحل: عصر آباء الكنيسة، العصر المدرسي، عصر الإحياء والنهضة، عصر العقلانية والتنوير، عصر العلم والتقنية، كالاتي:²⁴

مرحلة آباء الكنيسة: تشكل الوعي الأوروبي باعتباره وعياً دينياً أفلاطونياً إشراقياً. وفيها كان خلل كبير في الدين المسيحي من حيث الجوهر لا العرض، ومن حيث المضمون لا في الصورة.

العصر المدرسي: تحولت التعاليم الدينية من الكنائس إلى المدارس، وتحول الوعي الأوروبي فيها من الأفلاطونية الاشراقية إلى الأرسطية الطبيعية مع استمرار الخلل في الدين.

عصر الإحياء والنهضة: في القرن الرابع عشر بدأت العودة إلى الأصول اليونانية والرومانية والتعامل معها مباشرة دون واسطة، وهو ما كان له أثر كبير في النهضة.

عصر العقلانية والتنوير: وفيه تم التحول من الوعي والسلطة إلى العقل والطبيعة، وجعل الإنسان مركز الكون. أصبح العقل سلطاناً على كل شيء (على الدين والسياسة والاجتماع والقانون). كما ظهر أفكار الحرية والعدل والمساواة والتقدم.

عصر العلم والتقنية: وفيه ظهرت الثورة الصناعية وما تبعها من اكتشافات علمية واختراعات حديثة، فحلت الآلة محل الإنسان وظهرت الطبقات العمالية والثورات الاشتراكية. ومع ذلك حصلت أزمة العلم وأزمة الوعي الأوروبي وبداية النهاية بالنسبة للحضارة الغربية.

إذا أخذ هذا الموقف من التراث الغربي ووضعنا الوعي بناءً وتطوراً على هذا النحو حدث التالي:²⁵

— السيطرة على الوعي الأوروبي واحتواؤه بداية ونهاية، نشأة وتكويناً.

— إنشاء الاستغراب ونهاية الإستشراق، فتتحول الحضارة الأوروبية من ذات دراسة إلى موضوع للدراسة.

— رد الغرب إلى حدوده الطبيعية وإنهاء الغزو الثقافي.

— القضاء على عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوروبية بالنسبة للغرب.

ثالثا: الموقف من الواقع (نظرية التفسير):

يرى حسن حنفي أن التراث جزء أساسي من مكونات الواقع، وهذا انطلاقا من القيم والتصورات التي يحويها والتي مازالت تؤثر في حياة الناس اليومية وتوجه سلوكياتهم وأفعالهم. وبالتالي فقيامنا بتحليل التراث وإعادة بنائه هو في نفس الوقت تحليل للواقع ومحاولة فهمه كما ينبغي. يقول: «لا يمكن فهم التراثيين المحلي والغربي إلا بفهم الواقع الحالي أولا والذي على أساسه سيتم إعادة بناء الأول واختيار الثاني. ولطالما كثر الحديث عن ربط الجامعة بالواقع، والثقافة بالواقع، والعلم بالواقع دون أن يتجاوز الحديث ألفاظ العبارات إلى معانيها، ودون أن يتجاوز الحديث المعاني إلى تحقيقها كمشاريع فعلية للأبحاث والدراسات. وبدون هذا البعد الثالث يظل الموقفان الأولان مجرد معلومات من كتب صفراء أو بيضاء لا صلة لها بواقع قديم أو جديد، ولا تثير شيئا في ذهن المستمع أو القارئ المشدود إلى قضايا الواقع والمتأزم بأوضاعه.»²⁶ لذا قام حنفي بعملية إحصاء شاملة لمكونات ومتطلبات الواقع وحصرها في يلي:²⁷

— تحرير الأراضي العربية المحتلة من الغزو الخارجي. باعتبارها أكبر قضية تفكر فيها السلطة والجماهير وتحاول إيجاد حل لها.

— إعادة توزيع الثروة للقضاء على التفاوت الطبقي.

— تحقيق الحرية والديمقراطية في مقابل الظلم والاستبداد.

— تحقيق الوحدة العربية ونبذ التفرقة.

لقد هدف حنفي في هذا الموقف إلى إعادة بناء الحضارة انطلاقا من مصدرها المتمثل في الوحي الذي أراد تحويله إلى علم إنساني شامل، من خلال إنشاء نظرية في التفسير يمكن من خلالها إعادة بناء العلوم باعتبارها نابعة عن الوحي وربطها بالواقع.²⁸ ولقد تضمن هذا الموقف ثلاثة أجزاء:²⁹

أولا: العهد الجديد: التأكد من صحة الوحي ابتداء من مراحله الأولى التي يقصد بها التوراة والإنجيل إلى غاية المرحلة الأخيرة وهي رسالة القرآن التي نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم. ويتم ذلك عن طريق استعمال عدة مناهج للنقل التاريخي، الكتابي، الشفهي، من أجل الوصول إلى بعض اليقين الخاص بالنصوص الدينية.

ثانيا: العهد القديم: وفيه تم تحليل مصادر الوحي الغربي المتمثل في كتبهم المقدسة التوراة والإنجيل ونقدها بتبيان مكامن النقص والقصور فيها.

ثالثا: المنهاج: وهو محاولة لتجاوز المناهج القديمة في التفسير، والإتيان ببديل لها يجمعها ويصهرها في بوتقة واحدة.

نقد وتقييم:

إن مشروع حسن حنفي كغيره من المشاريع الفكرية التي عاجلت موضوع التراث العربي الإسلامي له إيجابيات تحسب له وعليه سلبيات تنقص من قيمته نعرض منها:

لقد قام حسن حنفي في إعادة بنائه للعلوم التقليدية بتجريد عقائد الإسلام من بعدها وطابعها الديني، وهذا في دعوته إلى التخلي عن بعض الألفاظ والكلمات التي سماها باللاهوتية مدعيا إضفاء نوع من الإنسانية عليه. إذ يقول: «لذلك وجب التخلي عن ألفاظ ومصطلحات كثيرة في علم أصول الدين من مثل: الله والرسول والدين والجنة والنار والثواب والعقاب، لأن هذه الألفاظ والمصطلحات قطعية، ولأنها تتجاوز الحس والمشاهدة ولأنها تشير إلى مقومات غير إنسانية. فما الله إلا وعي الإنسان بذاته، وما صفاته وأسمائه إلا آمال الإنسان وغاياته التي يصبو إليها ... فالحقيقة هي الإنسان والواقع الذي يعيش فيه ولذلك فتعبير الإنسان الكامل أكثر تعبيرا من لفظ الله.»³⁰

إن القارئ لنصوص حسن حنفي تتكرر أمامه كثيرا عبارة "إعادة البناء" التي استخدمها بكثرة في تعاطيه مع التراث القديم والتراث الغربي. إلا أننا عند التدقيق في هذه النصوص فإننا «لا نعثر فيها سوى على دعوة مجردة لإعادة البناء، وعند التمعن نكتشف أن إعادة البناء تعني في التطبيق إعادة التقديم أو إعادة العرض، مع إفراط في التأول يخرج بالمادة المؤولة عن نطاقها التاريخي والمعرفي، ليدخلها في نسيج هموم اليوم.»³¹

لم يهتم حسن حنفي في مشروعه بالذات فحسب، بل تعداها لدراسة الآخر محاولاً مواجهته بأسلحته نفسها ليقتضي على عالميته ومركزيته، ويعيد الثقة في الذات (الأنا)، فأنشأ علم الاستغراب ليواجه به الاستشراق. إلا أنه في الحقيقة اندمج في الآخر وغرق فيه، وبدلاً من أن يعيد الثقة للذات قام دمجها في الآخر ودرس التراث الإسلامي منظور الآخر بعد أن استعان في دراسته بمناهجه، سواء شعر بذلك أو لم يشعر.³² وفي الأخير لا يسعنا القول إلا أن حسن حنفي قد دعا إلى إعادة بناء العلوم القديمة لتواكب تطورات العصر ومتطلبات الواقع الحالي من جهة، ومن جهة أخرى درس التراث الغربي وحلله وفقاً لمراحله التاريخية تحليلًا دقيقاً داعياً إلى الاختيار منه ما يتطلبه ويستلزمه نهوضنا الحالي، منتهياً في الأخير إلى أن كلا التراثين لا معنى لهما دون فهم الواقع ومعرفة متطلباته.

الهوامش:

- 1 _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، بدون ط، 1991، ص 13، 14.
- 2 _ حسن حنفي، التراث والتجديد موقفنا من التراث القديم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 4، 1992، ص 13.
- 3 _ رفعت سلام، بحثاً عن التراث العربي، نظرة نقدية منهجية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، ط 1، 1989، ص 80.
- 4 _ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 14.
- 5 _ المصدر نفسه، ص 15.
- 6 _ المصدر نفسه، ص 27 _ 32.
- 7 _ ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، بدون ط، بدون سنة، ص 111.
- 8 _ عدنان محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط 1، 2003، ص 16.
- 9 _ بسطامي محمد سعيد، مفهوم تجديد الدين، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، السعودية، ط 2، 2012، ص 12، 13.
- 10 _ نقلاً عن/ عدنان محمد أسامة، التجديد في الفكر الإسلامي، مرجع سابق، ص 17.
- 11 _ محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 1، 2003، ص 7.
- 12 _ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 13.
- 13 _ المصادر نفسه، نفس الصفحة.
- 14 _ المصادر نفسه، ص 26.
- 15 _ فهد بن محمد القرشي، منهج حسن حنفي دراسة تحليلية نقدية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، ط 1، 2003، ص 116.
- 16 _ حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 2، 1987، ص 15.
- 17 _ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2010، ص 34.
- 18 _ حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص 21.
- 19 _ المصادر نفسه، ص 21.
- 20 _ المصدر نفسه، ص 22.
- 21 _ المصدر نفسه، ص 29.
- 22 _ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مرجع سابق، ص 38، 39.
- 23 _ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مصدر سابق، ص 29.
- 24 _ حسن حنفي وآخرون، الفلسفة في الوطن العربي المعاصر، مصدر سابق، ص 33، 34.
- 25 _ المصدر نفسه، ص 35.
- 26 _ المصدر نفسه، ص 37.
- 27 _ المصدر نفسه، ص 38، 39.
- 28 _ حسن حنفي، التراث والتجديد، مصدر سابق، ص 184.
- 29 _ المصدر نفسه، ص 184، 185.
- 30 _ محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، مرجع سابق، ص 28، 29.
- 31 _ عبد الإله بلقزيز، نقد التراث، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2014، ص 186، 187.
- 32 _ فهد بن محمد القرشي، منهج حسن حنفي، مرجع سابق، ص 392.

